دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	سياسة إسرائيل الخارجية الخرقاء
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	رايموند، بول أدريان
مؤلفين آخرين:	أبو زيد، أحمد(مترجم)
المجلد/العدد:	ع 52
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2010
الشهر:	أكتوبر - شوال
الصفحات:	34 - 37
رقم MD:	388874
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	فلسطين ، العالم العربي ، السياسة الخارجية ، الاحتلال الإسرائيلي ، الحصار العسكري ، غزة ، تركيا
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/388874

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

سياسة إسرائيل الخارجية الخرقاء

الكاتب/بول أدريان رايموند

ترجمة وتحرير/ أحمد أبوزيد محمد – القاهرة

أثار الهجوم الذي شنته إسرائيل ضد أسطول الحرية الذي كان متوجهاً صوب قطاع غزة مطلع شهر يونيو الماضي عاصفة من الانتقادات في جميع أنحاء العالم. وما كان هذا ليثير الدهشة إذا ما أخذنا في الاعتبار طبيعة هذه العملية والهجوم العسكري الوقح الذي تم ضد سفن مدنية في المياه الدولية، وأسفر عن مقتل تسعة مدنيين وجرح العشرات.

اللافت للنظر في هذا الأمر الجهات التي صدرت منها الانتقادات؛ قد انتقدت صحيفة فاينانشيال تايمز البريطانية المحافظة الهجوم واصفة إياه بأنه "عمل من أعمال القرصنة الوقحة." أما المؤسسة الفكرية الرصينة المعروفة "بمجموعة الأزمات الدولية" (أي سي جي)، ومقرها بروكسل وواشنطون، فسارعت إلى وصف الحصار الإسرائيلي المستمر لقطاع غزة بـ "المروع أخلاقياً والمدمر للذات سياسياً." علاوة على ذلك، اعتبر ديفيد كاميرون، رئيس وزراء بريطانيا، المثل لحزب المحافظين الموالي لإسرائيل، أن حصار إسرائيل لقطاع غزة يعزز ويقوي مكانة حركة المقاومة الإسلامية حماس في قطاع غزة، بدلاً من أن يضعفها.

وتعكس كل هذه الآراء حالة من السخط المتنامي في الخارج ضد سلوك إسرائيل العدواني، والذي يعلب دوراً ما في سياسة إسرائيل الداخلية. فالحكومة الإسرائيلية الحالية، وهي ائتلاف من اليمين المتشدد بقيادة رئيس حزب الليكود بنيامين نتنياهو ووزير خارجيته المثير للجدل افيجدور ليبرمان، تبنت برنامجاً موحداً يروق لليمين الإسرائيلي، ويتمثل في انتهاج دبلوماسية لا تعرف الحلول الوسط، حتى مع واشنطون، مصحوبة بنهج عدواني لا حدود له فيما يتعلق بالمسائل الأمنية والعسكرية. وقد أثارت سياسات إسرائيل في الآونة الأخيرة كثيراً من الدهشة والاستغراب في الخارج أكثر مما هو معتاد في أي وقت مضى.

ولنأخذ، على سبيل المثال، عملية اغتيال أحد عناصر حركة حماس، القيادي محمود المبحوح، في غرفته بأحد فنادق دبي في شهر فبراير الماضي. فمن المعتاد أن يثير مثل هذا القتل قليلاً من الازدراء من قبل العواصم الغربية، التي رفضت طويلاً التعامل مع حماس. ولكن عندما ظهر أن عملاء الموساد المتهمين بتنفيذ عملية القتل قد استخدموا جوازات سفر أوروبية واسترالية مزورة لدخول دبي، كانت ردود الفعل الصادرة عن الحكومات المعنية حادة بشكل غير معتاد.

فقد استدعت كل من بريطانيا وأيرلندا سفيري إسرائيل المقيمين "للتباحث"، وطردت الدبلوماسيين الإسرائيليين في تلك العواصم على الفور.

وانتقدت العاصمة البريطانية، لندن، استخدام جوازات سفر بريطانية مزورة، واصفة هذا العمل "بالأمر الذي لا يمكن التسامح معه"، حيث أظهر "استخفافاً رهيباً" ببريطانيا وبسيادتها.

وحتى استراليا، التي تعد إحدى الدول المناصرة بقوة لإسرائيل، طردت دبلوماسياً إسرائيلياً من العاصمة كانبيرا، قائلة إن "هذه ليست تصرفات صديق." وفي وقت لاحق، امتنعت استراليا عن التصويت، بدلاً من الاعتراض كالمتوقع، على قرار للأمم المتحدة يدعو إسرائيل للتحقيق في جرائم الحرب التي يحتمل أنها وقعت خلال عملية العدوان على غزة المسماة "الرصاص المسكوب" والتي جرت في أواخر عام ٢٠٠٨ وأوائل عام ٢٠٠٩.

لكن قطع العلاقات بين إسرائيل واستراليا لفترة طويلة يحتاج لأكثر من مجرد تزوير بعض جوازات السفر، وقد سارعت الحكومات الأوربية أيضاً لترميم الشقاق الحادث من خلال التأكيد على أن العلاقات الثنائية (مع إسرائيل) ستعود قريباً لطبيعتها، كما كانت دوماً. وقد يكون من السابق لأوانه أن نقول أن نفس الأمر سينطبق على علاقات إسرائيل بتركيا. فحادث الاعتداء على أسطول الحرية كان فقط الأخير في سلسلة من الحوادث التي هزت العلاقات بقوة مع من كان حتى وقت قريب شريك إسرائيل الاستراتيجي الحميم في الشرق الأوسط.

وإذا عدنا إلى شهر يناير، سنذكر أن نائب وزير الخارجية الإسرائيلي، داني أيالون، تعمد إذلال السفير التركي لدى إسرائيل خلال مؤتمر صحافي. وسبق لمسئولين إسرائيليين أن عبروا عن استيائهم من المسلسل الدرامي التلفزيوني التركي الذي صور تورط الجنود الإسرائيليين في ارتكاب أعمال وحشية.

وصف الحصار الإسرائيلي المستمر لقطاع غزة بـ "المروع أخلاقياً والمدمر للذات سياسياً

وحينما أستدعى داني أيالون سفير أنقرة لدى إسرائيل، أحمد اوقز جليكول، حرص أيالون على التأكد من أن السفير التركي يجلس في مقعد أدنى من مقعده، ولم يظهر العلم التركي بجوار العلم الإسرائيلي على الطاولة الموضوعة أمامهما. وقد ردت أنقرة على هذه الإساءة بغضب عنيف، وطالبت مراراً وتكرارا باعتذار رسمي. واضطر أيالون في نهاية المطاف إلى الرضوخ والاعتذار. وعلق رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان على الموقف بمرارة قائلاً إن على إسرائيل أن "تنخرط في النظام".

أما الأسوأ فقد حدث فيما بعد. فبعد الهجوم على أسطول الحرية، سرعان ما تبين أن جميع النشطاء التسعة الذين لقوا حتفهم في الهجوم كانوا من الأتراك. ونظراً لأن أسطول المساعدات الذي كان متجهاً إلى غزة كان يبحر تحت راية الإعلام التركية عندما هبط جنود "الكومندوز" الإسرائيلي على متنه، فقد تفاقم لدى الشعب التركي الشعور بأن الهجوم كان بمثابة اعتداء على سلامة تركيا.

وبثت وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم صور ومشاهد المظاهرات الغاضبة في مدن تركيا الرئيسية، وهددت أنقرة بقطع العلاقات مع تل أبيب. وحشدت كلتا الحكومتين تأييداً قومياً في كلا البلدين ليساندهما في مباحثاتهما الصعبة التالية، ومن المتوقع أن تزداد الفجوة بين البلدين اتساعاً.

إن حكومة بنيامين نتنياهو الحالية ليست أول حكومة إسرائيلية تتصرف بهذا الشكل من التجاهل مع تركيا. وكان المسئولون في أنقرة قد عبروا عن غضبهم عندما شن الجيش الإسرائيلي حربه المدمرة على غزة أواخر عام ٢٠٠٨ وأوائل عام ٢٠٠٩، بعد يوماً واحداً من زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود اولمرت للعاصمة التركية لمناقشة المحادثات التي تقودها تركيا بين تل أبيب ودمشق. (وقد انهارت المحادثات بالتالي في أعقاب الهجوم على غزة).

لكن تهور ائتلاف نتنياهو –ليبرمان– باراك وتصرفات الخرقاء فاق أية تصرفات قامت بها أية حكومة سابقة، إلى درجة إثارة التوتر في العلاقات مع رعاة إسرائيل الرئيسين في واشنطن. وقد طغى على الزيارة التي قام بها نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن لإسرائيل في شهر مارس الماضي إعلان وزارة الداخلية الإسرائيلية بناء ١٦٠٠ وحدة سكنية جديدة للمستوطنين اليهود في القدس الشرقية المحتلة، التي يفترض أنها العاصمة المستقبلية للدولة الفلسطينية، والتي تعتبر واحدة من القضايا التي تسعى إدارة أوباما لإحياء المفاوضات بشأنها.

وفي آخر زيارة قام بها رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو إلى واشنطن، بذل كل من نتنياهو والرئيس الأمريكي باراك أوباما جهوداً ضخمة لإصلاح الجسور التي تضررت جراء ذلك الإعلان، وبسبب الخلافات الأخيرة بينهما بشأن المستوطنات المقامة في الضفة الغربية. وأكد أوباما أن "الربط الذي يربط بين الولايات المتحدة وإسرائيل لا ينفصم ويستحيل كسره." وهذه حقيقة بديهية من دون شك، على الرغم من الخلافات القائمة بين البلدين حول شروط انطلاق المحادثات مع الفلسطينيين. لكن قدرة إسرائيل على زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط أيضاً أمر بديهي آخر في السياسة الإقليمية، وهو شيء ينبغي على واشنطن أن تكون حذرة بشأنه. وعلاوة على ذلك، فإن إطلاق النار على نشطاء دوليين وسقوطهم قتلى، وخرق القوانين من خلال استخدام جوازات سفر مزورة بدقة، والتضحية بعلاقات إقليمية هامة للغاية كل هذه التصرفات تعتبر بمثابة لعبة خطيرة على إسرائيل.

على الجانب الآخر، نجد أن العلاقات التركية مع العالم العربي تنمو بسرعة، ويتضح ذلك من خلال زيادة في الصادرات التركية إلى دول المنطقة بلغت سبعة أضعاف في السنوات السبع الماضية حتى عام ٢٠٠٩. وتتمتع أنقرة أيضا بعلاقات حميمة نسبياً مع ألد أعداء إسرائيل، ونعني به طهران. ويمضي هذا جنباً إلى جنب مع شائعات مريعة عن حرب وشيكة مع حزب الله، تلك الجماعة المسلحة وثيقة الصلة بإيران والمتمركزة في جنوب لبنان، واحتمال حدوث مواجهة مباشرة بين إسرائيل وإيران بسبب البرنامج النووي الإيراني، الأمر الذي يجعل من الضروري بالنسبة لإسرائيل أن تحافظ على كل صديق يمكن العثور عليه. فلماذا تقدم تل أبيب على لعب مثل هذه اللعبة الخرقاء؟

هناك عدة تفسيرات محتملة لهذه التصرفات؛ أولها مطالب السياسة الداخلية الإسرائيلية، ولاسيما اليمين القومي المتطرف، الذي يحتم على الحكومات أن تبدو صارمة تجاه أي تهديد، سواء كان محتملاً أو غير ذلك. فالإسرائيليون، على الرغم من كل ما لدى من بلادهم من قوة عسكرية، اعتادوا على العيش مع عقلية الحصار، والحديث عن إيران المسلحة نووياً، وإعادة تجميع قوى حزب الله، وكلها أمور تصب في مصلحة الساسة اليمينيين في إسرائيل، حيث يستفيدون للغاية من تأجج الصراع. فالنظر إلى هؤلاء الساسة اليمينيين على أنهم قساة على أعداء إسرائيل يشكل أداة لا غنى عنها ووسيلة معتبرة بالنسبة لهم تعينهم على الفوز بالمقاعد أو التمسك بسلطتهم في الكنيست الإسرائيلي. فوزير الخارجية الإسرائيلي افيجدور ليبرمان، المعروف بمواقفه وتصريحاته العدائية والذي رفض مناقشة إصدار اعتذار عن قيام إسرائيل بقتل تسعة مدنيين من النشطاء الأتراك، يدين بالفضل كثيراً في حياته السياسية لمثل هذه المواقف.

ومن المؤكد أن هناك ضغطاً شعبياً لتبني مثل هذا النهج. ففي اليوم التالي للغارة الإسرائيلية على أسطول الحرية التركي، اندلعت التظاهرات في جميع أنحاء إسرائيل رافعة شعار "دعم جنودنا." فالدعم الشعبي الصريح على الصعيد الدولي لاتخاذ موقف دفاعي لا يبدأ أو ينتهي عند غزة. فخلال زيارة نتنياهو الأخيرة إلى واشنطن، نشرت جماعات المستوطنين النافذة إعلانات بارزة في الصحف الإسرائيلية حذرت فيها نتنياهو من الرضوخ للضغوط الأمريكية المطالبة بتجديد قرار إسرائيل تجميد البناء لمدة ١٠ شهور في المستوطنات غير الشرعية المقامة في الضفة الغربية، والمقرر أن ينتهي في السادس والعشرين من شهر سبتمبر.

لكن كل هذه الأوضاع تنسجم، على أية حال، مع منطق بنيامين نتنياهو الذي يرى أن الانتقادات الدولية المتزايدة للسياسات الإسرائيلية ما هي إلى جزء من حملة منسقة يشنها أعداء البلاد لتقويض وجود دولة إسرائيل. "فنزع الشرعية عن ما هو أصلاً غير شرعي" أصبح مصطلحاً شائعاً بشكل أخرق إلى حد ما عندما يتعلق الأمر بوصف جهود إسرائيل النشطة للغاية في الآونة الأخيرة، في مجال العلاقات العامة على المستوى الدولي.

فلب اهتمام العالم، الذي تتنازعه الأيديولوجيات المختلفة، الآن هو قضية إيران. وتمثل إيران لنتنياهو وعدد كبير من مؤيديه تهديداً غير مسبوق للغاية للشعب اليهودي منذ هتلر. ويواجه نتنياهو وزملاؤه في الحكومة الإسرائيلية بالفعل انتقادات شديدة وضغط من الرأي العام الإسرائيلي لتأمين الإفراج عن الجندي جلعاد شاليط الذي تحتجزه حركة حماس منذ عام ٢٠٠٦. وهم، أي قادة إسرائيل، مصممون ألا يظن أحد أنهم غير مبالين بطموحات إيران النووية.

الإسرائيليون على الرغم من كل ما لدى من بلادهم من قوة عسكرية، إعتادوا على العيش مع عقلية الحصار

لكن هل الإستراتيجية القتالية الحالية لهؤلاء القادة ستسفر عن نتائج بالنسبة لإسرائيل، يظل هذا تساؤل قابل للنقاش. وقد تساءل كاتب في صحيفة إسرائيلية في شهر يناير، حتى قبل وقوع كارثة أسطول الحرية، قائلاً: "هل هم أغبياء؟ هل هم مصممون على جعل تركيا تدعم حزب الله وحماس؟"

ويجدر التساؤل حقاً إذا ما كانت جميع هذه السياسات تتم بناءً على إستراتيجية متماسكة تماماً أم لا، أم أنها ببساطة مجرد جزء من موقف دفاعي يرى أن كل انتقاد أو حادث يمثل صدعاً آخر في السد الذي يمنع تدمير إسرائيل. ويظهر اليمين الإسرائيلي بالتأكيد ميلاً لتبني هذا الرأي الأخير.

وفي الآونة الأخيرة، كتب إيلان بابيه، وهو مؤرخ إسرائيلي متمرد يدرس حالياً في جامعة اكستر في بريطانيا، عن مدى صعوبة أن نصف لغير الإسرائيليين كيف تضرب هذه المفاهيم بجذورها العميقة في النفسية الإسرائيلية.

وفي إشارة إلى الحصار المستمر المفروض على غزة والاستخدام المفرط لآلة "الدعاية المحمومة" التي تصف دوماً كل إجراء إسرائيلي بأنه دفاع عن النفس، كتب إيلان بابيه يقول إن الحكومة الحالية ببساطة "لا تعرف أية وسيلة أخرى للرد على واقع الحال في إسرائيل وفلسطين". وهذا ما هو إلا نذير سيء لمنطقة متوترة على نحو متزايد.